باب الفاعل

اختلاف لغات العرب في إلحاق الفعل علامات الفاعل:

اختلف النقل عن العرب فيما يتصل بكيفية إسناد الفعل المتصرف إلى الفاعل مفردًا ومثنى ومجموعًا مذكرًا ومؤنثًا ومع أن أثر ذلك في المفرد المذكر لا يكاد يُرَى إلا أنه يظهر في حالات المثنى والجمع تذكيرًا أو تأنيثًا وللعرب فيه طريقان:

إحداهما- أن يعملوا على تجريد الفعل من علامات الفاعل نحو: قام الزيدان، وقام الزيدون، وقام الهندات.. فيصير الفعل حينئذ كحالته عند ما يُسْنَدُ إليه الفاعلُ مفردًا سواء بسواء.

ثانيهما- أن قومًا من العرب وهم طيء أو أزد شنوءة أو بلحارث بن كعب[1]، أو هم مجتمعون يعمدون إلى إلحاق الفعل علاماتِ الفاعل عند إسناده إليه مثنى أو مجموعًا مذكرًا أو مؤنثًا تشبيهًا منهم لهذا العمل بالتاء التي يظهرونها في قالت فلانة، فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجميع علامةً لا ضمائر كما جعلوا للمؤنث وهي قليلة، وعلى هذا فالألف والواو والنون مؤذنة بأن الفعل لاثنين ولجماعة، وهي لغة فاشية لبعض العرب كثيرة في أشعارهم[2].

قال الفرزدق:

وَلَكِنْ دِيَافِيٌّ أَبُوهُ وأُمُّهُ ... بِحَوْرَانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِبُه[*]

---

(١) الهمع ١: ١٦٠، شرح ابن عقيل ١: ٤٦٨.

(٢) شرح المفصل ٢: ٨٣.

(*) نسب هذا البيت إلى الفرزدق، وهو من قصيدة يهجو بها ابن عفراء الضبي الديوان ٤٦، ط بيروت. وحوران: بلدة في الشام، وكذا ديافي: موضع بها. والسليط: الزيت، ويقال: هو دهن السمسم.. والشاهد في: يعصرون أقاربه: حيث أتي بضمير الأقارب في الفعل وهو مقدم على لغة من ثنى الفعل وجمعه مقدمًا ليدل على أنه لاثنين أو لجماعة كما تلحقه تاء التأنيث دلالة على أنه لمؤنث. والشائع في كلامهم إفراده لأن ما بعده من ذكر الاثنين والجماعة يغني عن تثنيته وجمعه.

وقوله:

يَلُومـونـني فِي اشْـتـراءِ النَّـخـيْلِ أَهْـلِي فَـكُلَّـهُـمْ يَعْـــــذِلُ(*)

وقوله:

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لاَحَ بِعَارِضِي فَأَعْرضَن عَنِّي بِـالخُدُودِ النَّواضِرِ(**)

وقوله:

تَوَلّى قِـتَـالَ المُارِقِـيْنَ بِنَفْـسِـهِ وَقَدْ أَسْلَمَـاهُ مُبْـعَدٌ وَحَـمِيْمُ(***)

وقال: عمرو بن ملقط:

أَلْفَـيَـتَـا عَـيْنَـاكَ عِنْدَ الْقَـفَـا أَوْلَى فَـأَوْلَي لَكَ ذَا وَاقِـيَـهْ(****)

وقال عروة بن الورد:

وَأَحْـقَـرُهُـمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَـلَيْـهِ وَإِنْ كَـانَا لَهُ نَسَـبٌ وَخَـيْـرُ

(*) هذا البيت لأمية بن أبي الصلت، وقد أنشده العيني، وقال: لم يقف له على قائل.. ويلومنني: يعذلونني، ويعذل: كذلك أي يلوم وقد ورد برواية أخرى وهي: يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم ألوم.
والشاهد فيه قوله: يلومنني أهلي.. حيث وصل واو الجماعة بالفعل مع أن لهذا الفعل فاعلاً ظاهراً وهو أهلي.. وذلك قد جاء موافقًا لبعض لغات العرب.

(**) البيت قد نسب إلى العتبي محمد بن عبيد الله، وقيل محمد بن أمية.
والغواني: جمع غانية وهي المرأة التي تغتني بزوجها عن غيره.
والشيب: ابيضاض الشعر المسود ولاح: ظهر: ويقصد بعارضه: صفحة خده، وأعرض: أى انصرف عنه. والخدود: جمع خد وهو من المحجر إلى اللحى من الجانبين. والنواضر: الحسنة الجميلة.
والشاهد: رأين الغواني.. حيث ألحق الشاعر النون ضمير النسوة بالفعل مسند إلى اسم عبد الله بن قيس الرقيات - الديوان ١٩٦.

والمارقين: الخارجين ويقصد بهم الخوارج. والحميم: القريب، والمبعد: ضده. والشاهد في قوله: أسلماه مبعد وحميم: فقد جمع الشاعر بين ألف ضمير الرفع المثنى وبين الفاعل مبعد وحميم وهما في معنى المثنى بعد العطف.

(***) نسب البيت إلى عمرو بن ملقط، وهو شاعر جاهلي. وألفيتا: وجدنا وقوله عيناك عند القفا: أى أنه ينظر إلى خلفه فيلتفت التفاتًا شديدًا، أولى فأولى لك: كلمة وعيد، والشاهد: إسناد ألف المثنى إلى الفعل مع ظهور الفاعل.

(****) قال العيني: أقول قائله: عروة بن الورد وهو من قصيدة يمدح بها الغني ويذم بها الفقير.. وأحقرهم: أذلهم. وأهونهم: كذلك والشاهد: وإن كانا له نسب وخير.. حيث ثنى الفعل مع إسناده إلى الفاعل الظاهر.

وقد وردت بها بعض آيات القرآن الكريم في قراءة الجمهور. قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]. وقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣]. ومنه قراءة طلحة في رواية ابن مجاهد في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. بضم الحاء[١] على نيه الواو وحُذفتْ تخفيفًا.

ولم يتقبلْ بعضُ النحاة هذه اللغةَ بقبول حسن، واعتبروا هذه الحروف اللاحقة للأفعال ضمائرَ، ثم اختلفوا فقيل ما بعدها بدل منها، وقيل: مبتدأ والجملة السابقة خبر[٢]. وخرجوا تلك الآيات والقراءات التي وردتْ بها على ما ارتضوه مذهبًا.

١- وقد أشار مكي إلى بعض تلك التخاريج في نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ في قراءة غير ابن أبي عبلة فقال: إنما جمع الضمير ردًا على المذكورين وكثير بدل من الضمير، وقيل كثير رفع على إضمار مبتدأ دل عليه عموا وصموا، تقديره: العمي والصم كثير منهم، وقيل: التقدير: العمي والصم منهم كثير فارتفع على المبتدأ والجملة قبله في موضع الخبر.

٢- وقال أبو حيان في تخريج بعض النحاة لقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وجوزوا في إعراب الذين ظلموا وجوهًا الرفع والنصب والجر، فالرفع على البدل من ضمير وأسروا إشعارًا أنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به، قاله المبرد وعزاه ابن عطية إلى سيبويه، أو على أنه فاعل، والواو في أسروا علامة للجميع على لغة أكلوني البراغيث، قاله أبو عبيدة والأخفش وغيرهما.. أو على أن الذين مبتدأ وأسروا النجوى خبره، قاله الكسائي فقدم عليه.. أو على أنه فاعل بفعل القول وحذف -أي يقول الذين ظلموا- والقول كثيرًا ما يضمر، واختاره النحاس.. وقيل: الذين خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين[٣].

وأكثر هذه التخاريج تعسف مادام قد ثبت بنقل الأئمة أن مثل ذلك قد جاء موافقًا لبعض لغات العرب المشهورة الحسنة.

وخرج عليها بعض النحاة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ و﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [٤].. والقراءات التي جاءت بها.

---

(١) البحر ٦: ٣٩٥. (٢) الهمع ١: ١٦٠.
(٣) البحر ٣: ٥٣٤، ٦: ٢٩٦، إعراب مشكل القرآن ١: ٢٤٠.
(٤) البحر ٦: ٢٩٧، ٣٩٥، إعراب مشكل القرآن ١: ٢٤١.